لأهله ، فتوجّه للهاتف العمومي القريب التابع للمقاطعة(وهي مجمع للأجهزة الأمنية التابعة للسلطة) ،ضغط الأرقام ، كلمات قليلة ودوّى انفجار عنيف ، مُزّق الجسد الطاهر وصعدت الروح إلى بارئها ...

هبت جماهير جنين ومخيمها وقراها على السلطة وأجهزتها ، وتليت وصيّة إياد : (لا يسير في جنازتي أي شخص يعمل في جهازي الوقائي والمخابرات) ، وكان يوصي إخوانه أن يوصوا بذلك أيضا عندما كان في سجن جنيد ، تحوّل الحدث إلى العنوان الأبرز على كل المستويات الإقليمية والمحلية والعالمية حتى أن الـ CNN ، الشبكة التلفزيونية الأبرز في العالم ، جعلته عنوانها الرئيس ، وبالصورة ، ليوم كامل .الصهاينة – بدورهم – أخذوا يتبجحون ؛ فقال عوزي لانداو وزير الأمن الصهيوني للإذاعة الصهيونية الرّسمية : (يجب تكثيف عملياتنا وعدم الاكتفاء بهجمات كل ثلاثة أيام ليكن الضرب ليل نهار) ، وادّعى وزير النقل الصهيوني أفرايم سنيه أن (مقتل إياد الحردان سيكبح نشاطات حركة الجهاد الإسلامي بصورة كبيرة) ... لكن بعيدا عن عالم الأوهام وتشوشات السكر والعربدة أعلن الأمين العام للجهاد الإسلامي من دمشق أن إياداً هو قائد سرايا القدس في جنين وأن استشهاده فتح بابا للثأر على درب الجهاد في سبيل الله .

تأخر الثأر لكنه جاء ، فكانت العملية المزدوجة في الخضيرة بتاريخ ٢٥/ ٥/ ٢٠٠١م، التي نفذها الاستشهادي أسامة أبو الهيجاء وعلاء الصبّاح ، وتضاربت مصادر العدو في نتائج العملية لتستقر على قتيل وستين جريحا ، كان محمود طوالبة هو من رشحهما للمهمة، وعرّفهما على ثابت المرداوي الذي أحضر المادة المتفجرة من كفر راعي وعنبتا ...

ردّ العدو باغتيال القائد محمد بشارات والمجاهدين وليد بشارات وسامح أبو حنيش بتاريخ ٢/ ٧/ ٢٠٠١م، عندما قصف سيارتهم من الطائرات بالقرب من قباطية، وردت السرايا (بقيادة طوالبة و المرداوي والحاج علي الصفوري الذي شقّ دربه إلى السرايا في هذه المرحلة تحديدا) بسلسلة عمليات استشهادية بعضها نجح ، وبعضها فشل ، كانت أبرز العمليات في هذه السلسلة عملية بنيامينا في محطة القطارات هناك يوم ١٦/ ٧/ ٢٠٠١م ، وقد نفذها الإستشهادي نضال أبو شاذوف ضد تجمع للجنود ، وأسفرت عن مقتل ثلاثة جنود وإصابة أكثر من عشرين ، وكان الذي اختار الهدف وقام بالنقل الشهيدان